مختصر
كتاب التوبة
حقيقتها و شروطها وآثارها



لسماحه المرجع الديني السيد كمال الحيدري

بقلم
حسين مشرق جابر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد وآله الطاهرين.

((وتوبوا إلى الله جمعيا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون))النور: ٣١

هذا البحث عبارة عن مختصر لكتاب التوبة حقيقتها وشروطها وآثارها للمرجع الديني آية العظمى السيد الأستاذ كمال الحيدري دام ظله

وقد احتوى الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول : حقيقة التوبة وآثارها

الفصل الثاني : أركان التوبة وشروطها

الفصل الثالث : أقسام التوبة ومراتب التائبين

والحمد لله رب العالمين

حسين مشرق جابر

فضيلة التوبة في القرآن والحديث

●التوبة اول مقامات الدين ورأس مال السالكين ومفتاح استقامة السائلين ومطلع التقرب الى رب العالمين.

●ورد في القرآن مواضع الحث على التوبة ٨٧موضعا منه قال الله تعالى ((ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين))

●ورد في احاديث كثير عن النبي(ص)واهل البيت (ع) في الحث على التوبة منه عن جابر عن الامام الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ))ولعل المراد من قوله كمن لا ذنب له بعدم العقوبة لا التساوي في الدرجة وان كان غير مستبعد في بعض افرادهما.

الفصل الأول حقيقة التوبة وآثارها

تعريف التوبة

● التوبة هي الرجوع الاختياري عن السيئة والمعصية الى الطاعة والعبودية.

● النفس قبل اقتراف الاثم والخروج عن طاعة الله هي خالية نقية من كل رسم ونقش لا توجد فيها الكمالات الروحية ، ولكن بعدما تجترع سيئة تحصل في القلب ظلمة سوداء وكلما ازدادت المعاصي تضاعف ذلك الى ان يخشى الظلام والسواد القلب كله فينطفى نور الفطرة ويبلغ مرتبة الشقاء الابدي. ففي كل قلب نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنبا خرجت النكتة نكتة سوداء فاذا تاب ذهب ذلك السواد،وانت تمادى في الذنوب زاد

السواد حتى يغطي البياض فاذا تغطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابدا.

اختصاص التوبة بنشأة الدنيا

●تختص التوبة بهذه النشأة الدنيوية دون الاخرة لما عرفت ان التوبة هي الرجوع الاختياري عن السيئة الى الطاعة والعبودية، ولا يتحقق هذا الا في ظرف الاختيار وهي الحياة الدنيا،واما فيما لا اختيار للعبد في انتخاب كل من طريق الصلاح والطلاح والسعادة والشقاوة فلا مسرح للتوبة.

● ان التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت.

● ان الانسان اذا ما تمادى في الكفر ثم مات وهو كافرا فان الله لا يتوب عليه.

توبة العبد محفوظة بتوبتين من الله تعالى

●ان توبة العبد محفوظة بتوبتين من الرب تعالى حيث انه يرجع تعالى الى العبد بالتوفيق وافاضة رحمة الهداية وهي التوبة الاولى منه.،فيهتدي العبد الى الاستغفار وهي توبته، فيرجع تعالى اليه توبته وغفران ذنوبه وهي التوبة الثانية منه تعالى.

● اذا تأملت حق التأمل وجدت ان التعدد في التوبة الله سبحانه وتعالى من حيث قياسها الى العبد والا فهي توبة واحدة هي رجوع رجوع الله سبحانه وتعالى الى عبده بالرحمة،ويكون ذلك عند توبة العبد رجوعا اليه قبلها وبعدها.

قبول التوبة من الله تعالى لعبده فضل منه تعالى

●الله تعالى وعد عباده أن يقبل توبة التائب منهم وهو لا يخلف الميعاد.

●الله تعالى غير مجبور في قبول التوبة،بل له الملك من غير استثناء، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد،فله أن يقبل مل يقبل من التوبة على ما وعد ويرد منها.

الحكمة من تشريع التوبة

●الملاك الذي شرعت لأجله التوبة هو التخلص من هلاك الذنب وبوار المعصية لكونها وسلية الفلاح ومقدمة الفوز بالسعادة،كما يشير إليه قوله تعالى : ((وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون))

تشريع التوبة والإغراء بالمعصية

س/ ان تشريع التوبة والدعوة اليها إغراء بالمعصية وتحريضا الى ترك الطاعة؟

ج/ ان من ذكر أن استلزام التوبة أن يقصد الإنسان كل معصية بنية ان يعصي ثم يتوب ،ان التوبة على هذا النحو لا يتحقق معها حقيقة التوبة واقعا، لأن التوبة حقيقة هي انقلاع عن المعصية ،ولا انقلاع في هذا الذي يأتي به.

● ولا يتنافى قبول التوبة مع تكرر المعصية بعد التوبة الصادقة،لأنه لم يكن مصرا عليها مستكبرا معاندا فيها.

لا شفيع أنجح من التوبة

قال أمير المؤمنين(ع)((لا شفيع أنجح من التوبة))

●التوبة شافعة للإنسان حتى من الشرك والكفر والنفاق.

●قال الله تعالى((يغفر الذنوب جميعا))الذنوب التي يغفره الله إنما هي في هذه النشأة الدنيوية،حيث يغفر مع التوبة جميع الذنوب حتى الشرك والكفر،بخلاف آية سورة النساء التي استثنت المشرك،فإنها تختص بالنشأة الاخروية،حيث انه تعالى لا يغفر الشرك من الكافر ولا مشرك،ويغفر سائر الذنوب دون الشرك بشفاعة شافع من عباده أو عمل صالح.

شرائط قبول التوبة

●قال الله تعالى ((إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما)) وقد دلت الآية أن الله يقبل التوبة من عباده بشرطين:

●أن الشرطين جميعا-أعني قوله((بجهالة))وقوله☹(من قريب)) احترازيان،يراد بالأول منهما أن لا يعمل السوء عن عناد واستعلاء على الله،وبالتالي منهما أن لا يؤخر الإنسان التوبة الى حضور موته كسلا وتوانيا ومماطلة؛إذ التوبة هي رجوع العبد إلى الله سبحانه وتعالى بالعبودية، فيكون توبته تعالى أيضا قبول هذا الرجوع، ولا معنى للعبودية إلا مع الحياة الدنيوية التي هي ظرف الاختيار ومواطن الطاعة و المعصية.

الذنوب التي تجب عنها التوبة

- قال الله تعالى ((إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما))
- إن المعاصي قسمان، صغيرة وكبيرة.
- إن السيئات في الآية هي الصغائر.
- والحاصل ان الآيات دالة على انقسام المعاصي إلى الصغائر والكبائر بحسب قياس الدائرة بين المعاصي أنفسها، ولا ينافي ذلك أن يكون العصيان والتمرد كيفما كان فهو كبير وعظيم بالنظر إلى ضعف المخلوق المربوب في جنب الله عظم سلطانه، غير أت القياس في هذا الاعتبار إنما هو بين الإنسان وربه لا بين معصية ومعصية؛ فلا منافاة بين كون كل معصية كبيرة باعتبار ،وبين كون بعض المعاصي صغيرة باعتبار آخر.
- يترتب على إثبات الكبائر والصغائر أمور تكليفية: منها
  - المخاطبة بتجنب الكبيرة تجنبا شديدا.
  - وجوب التوبة منها عند اقترافها.
  - أن ترك الكبائر يعتبر توبة من الصغائر.
  - سلب العدالة عن مرتكب الكبائر.

التمييز بين الكبائر والصغائر

- قال الله تعالى((الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش))
- الكبائر

١ ـ أكبر الكبائر الإشرك بالله.

٢ ـ وبعده الإيأس من روح الله.

٣ ـ ثم الامن من مكر الله.

٤ ـ ومنها عقوق الوالدين.

٥ ـ ومنها قتل النفس التي حرام الله إلا بالحق.

٦ ـ وقذف المحصنة

٧ ـ وأكل مال اليتيم

٨ ـ والفرار من الزحف.

٩ ـ وأكل الربا.

١٠ ـ والسحر.

١١ ـ والزنا.

١٢ ـ واليمين الغموس الفاجرة.

١٣ ـ والغلو.

١٤ ـ ومنع الزكاة المفروضة.

١٥ ـ وشهادة الزور،وكتمان الشهادة.

١٦ ـ وشرب الخمر

١٧ ـ ونقض العهد وقطية الرحم.

● ان حصر المعاصي الكبيرة في بعض الرويات في سبع أو ثمان أو تسع كما في بعض الرويات النبوية عن الفريقين، أو في عشرين كما في بعض الرويات او في سبعين كما في روايات أخرى،كل ذلك باعتبار اختلاف مراتب الكبر في المعصية.

الإصرار على الكبائر

● عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت الإمام الصادق (ع) يقول: الكبائر: القنوط من رحمة الله واليأس من روح آلله، والأمن من مكر الله ، وقتل النفس التي حرام الله، وعقوق الوالدين ،وأكل مال اليتيم ظلما ،وأكل الربا بعد البينة، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة ،والفرار من الزحف. فقيل له : أرأيت المرتكب لكبيرة يموت عليها، أتخرجه من الإيمان، وإن عذب بها فيكون عذابه كعذاب المشركين أو له انقطاع؟

قال : يخرج من الإسلام إذا زعم أنها حلال ، ولذلك يعذب أشد العذاب وإن كان معترفا بأنها كبيرة وهي حرام وأنه يعذب عليها وأنها غير حلال، فإنه معذب عليها وهو أهون عذابا من الأول، ويخرجه من الإيمان ولا يخرجه من الإسلام))

●الصغائر قد تكون كبائر

○منها : الإصرار والمواظبة.

عن الإمام جعفر الصادق (ع) قال ((لا صغير مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار))

○ومنها: استصغار الذنب.

○ومنها: أن يكون الآتي بالصغيرة عالما يقتدي به الناس.

●علاج الإصرار على الذنوب

○العلاج لحل عقدة الإصرار على الذنوب ان يتذكر ما اورد في فضلها كما عرفت ويتذكر قبح الذنوب وشدة العقوبة عليها ،وما ورد في الكتاب والسنة من ذم المذنبين والعاصين و يتأمل في حكايات الأنبياء وأكابر العباد وما جرى عليهم من المصائب الدنيوية بسبب تركهم الأولى وارتكابهم بعض صغائر المعاصي، وأن يعلم أن كل ما يصيب العبد في الدنيا من العقوبة والمصائب فهو بسبب معصيته، كما دل عليه الاخبار الكثيرة، ويتذكر ما ورد في العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والكبر والحسد والكذب والغيبة واخذ المال الحرام..... وغير ذلك من آحاد المعاصي مما لا يمكن حصره.

○عن العباس بن هلال الشامي قال: سمعت الإمام الرضا (ع) يقول: كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يغرفون)).

الاستدارج في الذنوب

● من السنن التي أشار اليها القران الكريم بالنسبة الى الأمم والأفراد الذين خرجوا عن صراط العبوديه لله تعالى في سنة الاستدراج والإملاء قال الله تعالى ((والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)).

●غاية إعراض الإنسان عن ذكر ربه وانكبابه على الدنيا، يبتغي به سعادة الحياة وراحة النفس ولءة الروح، أن يعذب بين أطباق هذه الفتن التي يراها نعما، ويكفر بربه بالخروج عن زي العبودية، كما قالت الاية ((انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون))

وهذا هو الإملاء و الاستدارج اللذن ذكرهما الله تعالى في قوله ((سنستدرجهم من حيث لا يعلمون¤وأملي لهم أن كيدي متين)) .

الفصل الثالث أقسام التوبة ومراتب التائبين

أقسام التائبين

● ينقسم حال التائب إلى أقسام:

○ القسم الأول:أن يتوب عن المعاصي كلها ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط ولا يعود إلى ذنبه، ولا يصدر عنه معصية إلا الزلات التي لا يخلو عنها غير المعصومين،وهذه هي التوبة النصوح.

○ القسم الثاني:أن يتوب عن كبائر المعاصي والفواحش ويستقيم على أمهات الطاعات، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد،ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزما على

الإقدام عليها، كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه أن يتشمر للاحتراز عن أسبابها التي تعرضه لها.

◇ وهذه النفس هي النفس اللوامة ، إذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد.

○ القسم الثالث: أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب ،فيقدم عليها عامدا قاصدا؛ لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان، وهو يود لو أقدره الله على قمعها وكفاء شرها، وعند الفراغ يتندم ويقول:ليتني لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها، لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرة ويوما بعد يوم.

◇ فهذه النفس هي النفس المسولة.

○ القسم الرابع: أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله،بل ينهمك انمهاك الغافل في اتباع الشهوات،فهذا من جملة المصدرين،

◇ هذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير.

مراتب التوبة والتائبين

● المرتبة الأولى: الذي يفيده الاعتبار الصحيح هو أن أول ما يتعلق به ويحترمه المجتمع الإنساني هي الاحكام العمليه والسنن التي تحفظ بالعمل بها والمداومة عليها مقاصده الإنسانية، وتهديه الى سعادته في الحياة، ثم تضع أحكاما جزائية يجازي على طبقها المتخلف العاصي عن القوانين الاجتماعية ويثاب المطيع المتثل.

○ إن المرتبة الأولى من مراتب الذنب، هو الذنب المتعلق بالأمر والنهي المولويين، وهو المخالفة لحكم شرعي فرعي أو اصلي، وإن عممت التعبير قلت: مخالفة مادة من المواد القانونية دينية كانت او غير دينية .

■التوبة من هذه المرتبة من الذنب، إنما هي بالرجوع عن المعصية، والندامة على ما مضى والعزم على عدم الإتيان فيما سيأتي.

●المرتبة الثانية : أن الأحكام العملية إذا عمل بها وروقبت وتحفظ عليها، ساقت المجتمع إلى الاخلاق وأوصاف مناسية ملائمة لمقاصد المجتمع التي هي غاية اجتماعهم، وهذه الأخلاق اسمه الفضائل الإنسانية ويحرص ويحرض عليها وتقابلها الرذائل.

○مرتبة من مراتب الذنب فوق المرتبة السابقة ،وهي مرتبة التخلف عن الأحكام الخلقية والأوامر العقلية المتعلقة بها.

■أن التوبة التي تترتب على هذه المرتبة من الذنب، هي التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي والرجوع عن الأخلاق الرذيلة

●المرتبة الثالثة : الأحكام الناشئة في ظرفي الحب والبغض.

○أن الاشتغال بضروريات الحياة من أكل وشرب ونحوهما يعد عنده جرم والعصيان ،نظرا إلى أن أصل الفعل وإن كان من الضروري الذي يضطر إليه الإنسان ،لكن كل واحد من هذه الافعال الاضطرارية من حيث أصله اختياري في نفسه ،والاشتغال به اشتغال بغير المحبوب وإعراض عنه اختيارا وهو الذنب ،ولذلك نرى أهل الوله والعزم وكذا المحزون والكئيب ومن في عدد هؤلاء يستنكفون عن الانشغال بأكل أو شرب أو نحوهما.

بناء على ما تقدم فرب مباح أو مستحب أو مكروه بالنسبة إلى من هم في المرتبة الاولى والثانية، وهو أو محرم بالنسبة إلى من هم في المرتبة الثالثة.

توبة الأنبياء واستغفارهم

- **((واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار))**
- **عن الإمام الصادق (ع) ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله عز وجل في يوم سبعين مرة ويتوب إلى الله عز وجل سبعين مرة))**

- **حمل الآيات والروايات على المرتبة الثالثة من الذنب، هو أن الأنبياء(ع) بعد أن ثبتت عصمتهم بأدلة قرآنية واضحة وقاطعة لا يتأتى أن تصدر عنهم معصية ويقترفوا الذنب بمعنى مخالفة مادة من مواد الدينية التي هم المرسلون للدعوة إليها والقائمون قولا وفعلا بالتبليغ لها، والمفترض طاعتهم من عند الله، ولا معنى لافتراض طاعة من لا يؤمن وقوع المعصية منه.**

تلخيص

- **فهذا كله ينبهنا على أن من الذنب المتعلق به المغفرة ما هو غير الذنب بالمعنى المتعارف ،وكذا من المغفرة ما هي غير المغفرة بمعناها المتعارف.**
- **فتحصل أن للذنب مراتب مختلفة متربة طولا ،كما أن للمغفره مراتب بحذائها تتعلق كل مرتبة من المغفره بما يحاذيها من الذنب، وليس من اللازم أن يكون كل ذنب وخطيئة متعلقا بأمر أو نهي مولوي، فيعرفه ويتبنه الأفهام العامية الساذجة، ولا أن يكون كل مغفرة متعلقة بهذا النوع من الذنب.**

والحمد لله رب العالمين

ليلة السبت المصادف /٢٨/ ذي الحجة ١٤٤٢هـ

٢٠٢١/٧/٩

حسين جابر مشرق

1. الفهرس
2. الفصل الأول:حقيقة التوبة وآثارها
3. ماهي التوبة
4. اختصاص التوبة بنشأة الدنيا
5. توبة العبد محفوظة بتوبتين من الله تعالى
6. قبول التوبة من الله لعبده فضل منه تعالى
7. الحكمة من تشريع التوبة
8. تشريع التوبة والإغراء بالمعصية
9. لا شفيع أنجح من التوبة
10. الآثار المترتبة على الذنوب
11. الفصل الثاني أركان التوبة وشروطها
12. أركان التوبة
13. حق الله وحق الناس
14. شروط التوبة
15. التوبة النصوح
16. وجوب التوبة فوري
17. شرائط قبول التوبة
18. الذنوب التي تجب عنها التوبة
19. التمييز بين الكبائر و الصغائر
20. الكبائر
21. الإصرار على الكبائر
22. الصغائر قد تكون كبائر
23. علاج الإصرار على الذنوب
24. الاستدارج في الذنوب
25. الفصل الثالث أقسام التوبة و مراتب التائبين
26. أقسام التوبة
27. مراتب التوبة والتائبين
28. توبة الأنبياء واستغفارهم
29. تلخيص
30. محتويات الكتاب (الفهرس)